(٨١)

"صمت وحرمان"

"أبدًا لن أقول، وأبدًا لن أُصرح. ستظل مشاعرى دفينة فى قلبى، ولن أسمح لعينيَّ مرة أخرى أن تسترق النظر إليها حتى لو كانت واقفة أمامي مثلما حدث من قبل، ومع ذلك سأظل دائمًا أحاول أن أسعدها حتى وهى لا ترانى أمامها.".

كانت تلك هى كلماته التى أسرَّ بها لنفسه، والتى لم تختلف عن كلمات العاشقين الذين قرَّروا أن يكملوا حياتهم بعيدًا عمَّن أحبوا رغم احتفاظهم بحب لهم يملأ قلوبهم ويفيض ألمًا وعذابًا كلما حاول أن يطفو على سطح أيامهم. وكانت تلك هى المشاعر والأحاسيس التى لم يُقدَّر لها أن ترى النور، أو أن تشع أملاً وبهجة فى كل شيء حتى فى الذرات الصغيرة الموجودة حولنا ولا نراها. و مثلما أمضى هو أوقاتًا طويلة لإعداد شيء يسعد به من أحبها ليرى ابتسامتها تشع أملاً فى كل من حولها، مكث صديقه هو الآخر أيامًا وليالٍ طويلة يستحضرها فى خياله، فسطر حبه لها شعرًا بديعًا أخذ ينقحه يومًا بعد يوم حتى تحين الفرصة المواتية للتصريح بعشقه لها وولعه بها. ولم يستطع المحب الشاعر أن ينتظر أكثر من ذلك، فانتهز الفرصة التى يبوح فيها بمشاعره لحبيبته، وبالفعل عرض عليها أشعاره البديعة التى كتبها فيها، وطلب منها أن تقرأها بمفردها.

ورغم رقة كلماته فيها، وعذوبة مشاعره الفياضة تجاهها، ورغم خجلها الشديد الذى كاد أن يمنعها من مصارحتها له بحقيقة مشاعرها تجاهه، إلا أنها آثرت أن تواجهه بالحقيقة الصادمة له، ولكن بطريقة لائقة حرصًا عليه.

ووقعت واقعة الصدمة التى كانت تخشاها عليه، فهزت أوصاله بعنف، رغم محاولته التظاهر بالتماسك أمامها.

وبعد عدة أشهر أفاق المحب الثانى من صدمته فى حبه الأول، وأخبر صديقه بما كان من حبيبته، التى لا يعلم أن صديقه هو الآخر يحبها مثله ولكن فى صمت وكبرياء إذ أصر– وهو من أحبها أولاً– على عدم البوح للحبيبة المشتركة بينهما بما فى صدره من مشاعر دفينة تفيض تضحية ووفاءً خوفًا من أن يواجه نفس مصير صديقه الذى أحبها وصارحها بحبه، فصدمته برفضها.

وبمرور الأيام نسى صديقه حبه الأول القديم، بينما ظل هو عازمًا على محاولة إسعادها، حتى لو لم يظهر فى الصورة أمامها، مؤثرًا ألا تعرف أبدًا مدى حبه لها، ولا أنه هو الذى كان دومًا سببًا فى إسعادها، ولا أنه سيظل حبيبها الذى لن يعترف بحبه لها يومًا، ولن يطمع أبدًا فى أن تتواصل مع مشاعره النبيلة تجاهها، ليظل هو الوحيد الذى سبق الجميع فى حبه لها وفاق كل التوقعات فى التفانى من أجلها.